أوضاع النساء

لم يـرق لداعـش في أولـي مراحلـه أن يضـم نسـاء بـين صفوفـه، وإن كان قـد طلـب مـن كل متعاطفـة معـه أن تجلـس أمـام حاسـوبها، وتتصفـح مواقـع التواصـل الاجتماعـي، وتنقـر علـى «الكيبـورد» مـا أمكنهـا كـي تجـذب للتنظيـم زبائـن جـدد، أو تنخـرط في عمليـة جمـع تبرعـات لـ «المجاهديـن»، وحـض الرجـال، بـل تحريضهـم، علـى الانضمـام إلى صفوفهـم.

وكان داعـش يـرى، في البدايـة، أن النسـاء لا قبـل لهـم بالحـرب، لكنـه سـرعان مـا غـير رأيـه هـذا، لاسـيما حـين تمكـن مـن أرض شاسـعة وفـرض عليهـا سـلطانه، فأطلـق دعوات لاسـتقطاب طبيبـات وممرضـات ومهندسـات ومدرسـات، ثـم مقاتـلات، لهـن وظيفـة في القتـال والعمليـات الإرهابيـة قـد لا يقـوم بهـا رجـال بالإتقـان نفسـه.

ومـع توالـي الأيـام صـار وجـود النسـاء في صفـوف داعـش لافتـا، وفتـح بابـا عريضـا لتسـاؤلات حـول البـلاد الـتي انحدرن منهـا، وخلفياتهـن الطبقيـة والثقافيـة والدينيـة، والأسـباب التي جعلتهـن يتركـن بلادهـن، ويحزمـن أمتعتهـن ذاهبـات إلى أرض

داعش التي يسكن الخطر كل شبر فيها.

في هذه الأرض يعيش النساء حياة مختلفة عن تلك التي يعيشها غيرهن في بلاد أخرى، ولعل ما ورد في وثيقة «المرأة في ظل الدولة الإسلامية : بيان ودراسة حالة» التي عثرت عليها القوات المدعومة من الولايات المتحدة الأميركية في المناطق التي يسيطر عليها التنظيم في العراق وسوريا توضح بجلاء كيف تعيش الداعشيات. ويُعتقد أن هذه الوثيقة من إعداد القسم الإعلامي في «كتيبة الخنساء»، وهي فصيل عسكري نسوي في التنظيم، ومن ثم فهي الأكثر تعبيرا عن حال النساء تحت ظل حكم داعش.

وقد هاجمت الوثيقة المفاهيم الخاصة بحقوق الإنسان عامة، وحقوق المرأة خاصة، لاسيما تلك المتعلقة بالمساواة بين الجنسين، واعتبرتها مفاهيم أنتجها الغرب، ولا تتماشى مع شرع الإسلام ونهجه.

وتنقسم الوثيقة عموما إلى ثلاثة أجزاء، الأول فيه رد على المفاهيم المتعلقة بالنسوية، كما هي متعارف عليها ومتداولة في الثقافة والتعليم والتشريعات الحديثة، والتي تصفها الوثيقة بأنها «البرنامج الغربي للنساء» وترى أنه قد فشل بسبب عدم وضوح الرؤية بين أدوار كل جنس، وبسبب عجز الرجال عن تقديم أنفسهم للنساء بصورة سليمة، مما جعلهن معتدات بأنفسهن، وغير قادرات على

تلبية مهامهن، التي يدور أغلبها حول الأمومة والمحافظة على الأسرة. والبديل هو في كنف داعش حيث «الرجال الحقيقيون»، الذين يضمنون للمرأة حياة مستقرة، فتقبل في رضا «ذكورتهم المشروعة»، وتكون هي «مسلمة أفضل».

ويشكل الجزء الثاني وصفا لحالة المجتمعات التي تسيطر عليها داعش في العراق وسوريا. أما الثالث ففيه مقارنة بين حياة النساء في مناطق داعش وحياتهن في شبه الجزيرة العربية، بالأخص المملكة العربية السعودية. وهنا تغرق الوثيقة في دعاية لحالة الداعشيات تخفي الانتهاكات التي لا حصر لها ضد النساء.

وتنطوي الوثيقة على قواعد عامة تحكم وجود وعمل ودور المرأة تحت حكم «داعش» يمكن ذكرها على النحو التالي:

- **الزواج:** يمكن للفتاة أن تتزوج في سن التاسعة، ولكن السن الأمثل للزواج هو ما بين ١٦ و ١٧ عاما، أما الشباب فيتزوجون في سن العشرين .ولا يرى بعض نساء داعش غضاضة في تعدد الزوجات، وكل منهن تعرف دورها وهيئتها، فها هي امرأة داعشية تدعى الخنساء تقول : «إن الدور الرئيس للمهاجرة هنا هو دعم زوجها وجهاده لرفعة هذه الأمة .. فخير النساء هي التي لا ترى الرجال، ولا يراها الرجال».

وهناك معلومات تؤكد أن الزوج يكتب وصية في حال

ذهابه إلى معركة يوكل فيها شخصاً آخر للزواج بزوجته إن قتل، ولا يمكن لها أن تتزوج سوى الشخص الذي حدده زوجها، وتكون الفتاة على علم تام بذلك قبل الزواج.

- **العمل**: من حيث «الأصل الشرعي» في تصور داعش فإن المرأة لا تعمل لأن العمل مفسدة للفتاة، فهي بالأساس زوجة وأم وربة منزل، غير أنه، وفي ظروف استثنائية، يمكنها أن تجاهد وأن تعمل طبيبة أو مدرسة، وفي هذه الأحوال يجب أن تتبع «تعاليم الشريعة» كاملة. وهناك وثيقة أخرى سابقة على تلك قدمت عدة نصائح للنساء كي يكن «زوجات صالحات للجهاديين»، ومنها تعلم فن الطبخ، وطرق الإسعافات الأولية، والتزين لإمتاع الرجال.
- **الدراسة**: من منطلق إدراك داعش أن المرأة لا يمكن أن تؤدي دوريها في الزواج والعمل إن كانت «أمية» أو «جاهلة» تتلقى الفتاة من سن السابعة حتى التاسعة دروسا في القرآن والفقه والعلوم الشرعية. ومن العاشرة حتى الثانية عشر تتوسع في دراسة الفقه، خاصة في الجوانب المتعلقة بالمرأة ودورها في الزواج والطلاق، ومعها دروس في المهارات المنزلية مثل الطبخ والحياكة. ومن الثالثة عشر حتى الخامسة عشر يركز المساق الدراسي على الشريعة وتربية الأطفال، ومهارات منزلية أكثر تقدما، وتاريخ المسلمين، خاصية سيرة الرسول (صلى الله وعليه وسلم) والصحابة وفق رواية تاريخية يعتمدها

التنظيم. وتنصح الوثيقة المرأة الداعشية بعدم الحصول على «شهادة دراسية».

- **المحظورات:** تقر الوثيقة عددا مما يحظر على النساء فعله تحت حكم داعش، ومنها عمليات التجميل، والثقب أو وضع القرط، وقص الشعر، ولذا تعتبر الوثيقة صالونات التجميل من «الأعمال الشيطانية»، التي يجب إدانتها، ومحاكمة القائمين عليها.

ورغم أن داعش يؤمن بأن المرأة يجب أن تظل محتجبة وراء نقابها، وتصون المجتمع فى الخفاء، وتبقى دوما في الخلفية، فإنه على أرض الواقع تتم الاستعانة بالنساء في العمل الشرطي وحفظ الأمن.

فهناك «نساء الحسبة»، اللائي ينتشرن في الشوارع، لملاحقة المتبرجات أو من لا يرتدين جوارب سوداء، أو من يُظهرن أكتافهن أو يلبسن عباءة مطرزة، حاثين إياهن على الالتزام بما تراه داعش «الزي الشرعي» الذي يجب ألا يحدد تقاسيم جسد المرأة، ومنها الكتف، ويغطي منطقة الرقبة وأعلى الظهر، بل كل الجسد، وبشكل كامل.

لكن هذه المهام يقوم بها رجال أيضا، فهناك، مثلا، شهادة من مدينة الرقة السورية تقول: «صرخ أحد عناصر التنظيم في وجه امرأة، وقام بتوبيخها لأنها ترتدي عباءة غير فضفاضة، وضربها على ظهرها بعصا من الخيزران».

كما يستعان بالنساء في العمليات القتالية إن كان مجتمعهن يتعرض لخطر عظيم، لكن هذا يأتي في درجة متأخرة مقارنة بالأعمال المرتبطة بالأمومة ودعم العائلة، وبذا يبقى المكان الأصلي للمرأة هو بيتها. لكن بعض النساء يسمح لهن بترك منازل الزوجية، إن كن ذاهبات لدراسة أصول الدين، أو كن طبيبات أو مدرسات، أو إذا تلقين فتوى تسمح لهن بالمشاركة في «الجهاد»، في حال ما إذا كان هناك نقص في عدد الرجال، ولذا فهناك نساء يقاتلن في الصفوف الأمامية، بل شكل التنظيم كتائب نسائية بالكامل مثل «الخنساء» و«أم الريان».

ويشترط التنظيم على الإناث اللاتي يشاركن في أعماله القتالية، أن يكن عازبات، وتتراوح أعمارهن بين عمر ١٨ و٢٥ سنة ، وهن يتقاضين أجرا شهريا يبلغ ٢٥ ألف ليرة سورية (٢٠٠ دولار تقريبا) ، على أن يتفرغن بالكامل للعمل مع التنظيم.

وإذا ما دفعت الظروف إلى إشراك المرأة في القتال فـ «يجب أن تكون الأعمال التي تكلف بها مناسبة لها ولقدراتها، وألا تحمل ما لا طاقة لها به، أو ما هو صعب الإنجاز والتحقيق من قبلها»، كما تقول الوثيقة. ولذا يتركز مجال عمل المرأة في «الجهاد» بشكل أساسي في عمليات التجنيد، وجمع المعلومات أو الاستخبارات، والدعاية للتنظيم بمختلف الوسائل.

ومن أمثلة الدعاية الحربية التي يستغل فيها داعش النساء ذلك التسجيل المصور الذي حمل اسم «الإصدار

الفاجعة» وهو لإحدى المواجهات التي وقعت بين التنظيم وبين «الجيش الحر» و«لواء التوحيد» و«لواء الفتح»، حيث تصدرت الحديث فيه خمس نساء «مهاجرات» من بينهن سعودية وألمانية وفرنسية، رحن يتهمن أفرادا من الجيش الحر باستهداف أسر مقاتلي داعش والاعتداء عليهن، وحصارهن.

ونُشرت صور ولقطات «فيديو» كثيرة تبين مشاركة المرأة في القتال أو استعدادها له، مثل تلك التي ظهر فيها داعشيان مدججان بالسلاح والأحزمة الناسفة، إلى جانب امرأة من جنوب لندن اسمها خديجة داري تعيش في سوريا، تقول في تغريدة لها:

«الله أكبر، بريطانيا يجب أن تستسلم، أريد أن أكون أول امرأة بريطانية تقتل الإرهابيين الأميركيين والبريطانيين».

وتوجد من صورن أنفسهن حاملات أسلحة حربية، فيما قامت إحداهن برفع رأس رجل مقطوع.

أما خارج الأرض التي يسيطر عليها داعش يميل التنظيم إلى توظيف المرأة في أعمال «انتحارية» لأنها أقل إثارة للشكوك عند أفراد الأمن، ولذا فهي أفضل فى اختراق الأنظمة الأمنية.

ورأينا كيف شاركت امرأتان في الهجمات التي طالت فرنسا، فحياة بومدين شاركت في الهجوم المسلح على

صحيفة «شارلي إيبدو» الساخرة وعملية احتجاز رهائن في المتجر اليهودي بضواحي باريس، فيما شاركت حسناء بولحسن المغربية الأصل في الهجوم الواسع على باريس الذي راح ضحيته ١٣٠ شخصا.

وقد تمكن داعش، رغم أنه يستهدف بالأساس النساء المسلمات في المشرق العربي، من جذب عدد كبير من النساء الغربيات. فوفق دراسة لمعهد الحوار الاستراتيجي البريطاني فإن هناك ٥٥٠ أمرأة من بين نحو ثلاثة آلاف مقاتل غربي في صفوف داعش. فيما أفاد تقرير أمني ألماني ببلوغ عدد الألمانيات المقاتلات في التنظيم عتبةَ المئة من أصل ٧٠٠ ألماني التحقوا به.

وفي فرنسا أظهر خطّ ساخن أُنشأته وزارة الداخلية لرصد علامات التطرف الجهادي، أن ٤٥٪ ممن يتجاوبوا مع هذا المسار من النساء، بينهن فتيات لم يتجاوزن سن الـ١٦، اعتقلن في المطارات الفرنسية للاشتباه بمحاولتهن السفر إلى سوريا. ويعتقد خبراء أمنيون فرنسيون أن داعش يولى الفرنسيات أهمية خاصة، لأنهن يظهرن تطرفا أكثر من النساء الأوروبيات الأخريات، ولذا يعمد التنظيم إلى إطلاق دعوات عبر وسائل التواصل الاجتماعي للفتيات الفرنسيات القاصرات للانضمام إلى صفوفه، مقدمًا الكثير من التسهيلات، لضمان وصولهن إلى الأراضي السورية من دفع أجور السفر، وتمويلهن ورعايتهن بعد الوصول والانضمام التام.

ووفقا لتقرير صدر عن المركز الدولى لدراسات التطرف التابع للكلية الملكية فى لندن «كينجز كوليدج»، تتراوح أعمار معظم النساء اللواتى انضممن لداعش بين (١٦ و٢٤) عاما، والكثيرات منهن يحملن شهادة جامعية.

وهنا تبدو قدرة داعش على جذب النساء الغربيات أسهل من نظيراتهن فى البلدان العربية. فالمرأة الغربية أكثر رغبة في المغامرة، ومنفتحة على المختلف والمغاير، نظرا لما مرت به من تعليم أو تجارب، كما أنها تمتلك مهارات أفضل في استعمال التقنيات، وقبل كل هذا فهي تتمتع بالاستقلالية وحرية السفر، بينما المرأة في العالم العربي مثلا، ليس بوسعها أن تسافر خارج بلدها، حسب قوانين أغلب الدول، إلا بعلم زوجها وموافقته.

وهناك إحصائيات تعود إلى ٢٠١٥ تبين أن أكثر من ألف فتاة أوروبية، اخترن ترك بلادهن، والذهاب بمحض إرادتهن، ودون موافقة أهلهن في الغالب، إلى داعش، حالمات بحياة مختلفة.

وأثبتت أبحاث أجريت فى جامعة جورج واشنطن حول التطرف أن ثلاثمائة أمريكى غالبيتهم من النساء، يدعمون داعش، ويتعاطفون معه، ويعملون لحسابه على موقع التواصل الاجتماعي «تويتر».

وتتعدد خلفيات الغربيات اللاتي انضممن لداعش، ومعها تتعدد الأسباب. فقد قدمت دراسة للباحثة ميلاني

سميث أصدرها «المركز الدولي لدراسات التطرف» نماذج لـ «الجهاديات الغربيات»، تبين أن حياة بومدين مرت بظروف أسرية قاسية، حيث تخلى أبوها عنها كلية عندما تزوج بعد وفاة أمها، ونتيجة سلوكها العنيف كانت تُجبر على التنقل بين دور الرعاية المختلفة، ثم عملت صرافة، حتى التقت بكوليبالي، زوجها وشريكها في الهجوم، الذي أقنعها بارتداء النقاب، فطردت من عملها.

وهناك حالة ثانية تمثلها أقصى محمود (٢٠ عاما) التي كانت تدرس في مدرسة أسكتلندية عريقة خاصة بالبنات، وتعيش حياة محافظة هادئة ومنطوية، إذ لم يكن لها أي علاقة بالشباب، ولم تضبط ولا مرة تتعاطي المخدرات، وكان سجلها ناصعا بلا جرائم ، وتقرأ كتب الروائية ج. ك رولينج، صاحبة سلسلة «هاري بوتر» الشهيرة».

فلما وصلت إليها دعايات داعش عبر التواصل الاجتماعي، أصبحت، وحسب رواية والدها، أكثر اهتماماً وحزناً على ما يجري في سوريا، وبمرور الوقت صارت غاضبة وحانقة، ثم فجأة حزمت حقائبها واختفت من البيت.

وفور وصولها إلى الحدود السورية، هاتفت والديها، وحينما ناشداها العودة، قالت لهما: «أراكما يوم القيامة.. سآخذكما معي إلى الجنة». وأطلق عليها، عقب التحاقها بداعش، طبيبة الجماعة، فيما تطلق هي على نفسها

«المجاهدة بنت أسامة» تيمنا بزعيم القاعدة السابق أسامة بن لادن.

وقد نشرت أقصى عبر «تويتر» صورة لها وهي ترتدي النقاب، وزي الطب الأبيض، وتمسك بيدها رأس رجل في منتصف العمر، وعلى يسار الصور طفلان ينظران إليها. وبعد مرور شهر تزوجت أحد مقاتلي داعش، واستخدمت حسابها على «تمبلر» لحض النساء على الانضمام للتنظيم.

أما البريطانية سالي جونز (٤٥ عاما) التي أطلقت على نفسها اسم «أم حسين» فقد كانت تعيش في مدينة برمنجهام أبعد ما تكون عن الإسلام، فهي جاءت من أسرة إنجليزية بيضاء وكانت عضوة في فرقة لموسيقى الروك في التسعينيات، وتم تجنيدها عبر الإنترنت لينتهي بها المطاف في مدينة الرقة السورية، وتتزوج بشاب يصغرها بعشرين عاما.

وهناك بريطانية أخرى اسمها خديجة داري، أشير إليها سلفا، وهي سافرت إلى سوريا عام ٢٠١٢ ومعها طفلها الذي كان عمره وقتها سنتين فقط. وقد ولدت خديجة في منطقة «ليويشام» جنوبي لندن، التي يقطنها فقراء، وكانت لا تهتم في حياتها سوى بارتداء الجينز وانتعال الحذاء ذي الكعب العالي، والخروج مع أصدقائها في شوارع لندن.

درست خديجة الإعلام وعلم النفس في إحدى جامعات لندن ثم اعتنقت الإسلام وهي في الثامنة عشر من عمرها،

وبعدها بدأت في متابعة ما يجري في عبر الإنترنت، لتتفاعل معه في اتجاه الرغبة في السفر إلى هناك. وفي سوريا تزوجت أحد المقاتلين وهو سويدي مسلم يدعى أبوبكر ، وظهرت بعد سنتين إلى جانب طفلها الذي يسمى عيسى، عبر صور لها بثتها على شبكة الإنترنت، وهما يحملان كلاشينكوف.

وتستخدم خديجة حسابها على «تويتر» من أجل الترويج لداعش، عارضة صور العديد من القتلى الذي لقوا مصرعهم على أيدي التنظيم. وتطلق خديجة على نفسها «أم عيسى»، كما تصف نفسها بأنها «مهاجرة في الشام».

وهناك حالة أخرى تتمثل في نورا الباشي، وهي فرنسيّة مسلمة أرادت أن تصبح في يوم من الأيام طبيبة، لكنها اختفت فجأة، لتنضم إلى داعش، وقد عثر أهلها بمساعدة الشرطة، على صفحتها على «فيس بوك» ليجدوها مملوءة بصور نساء تدعين للمشاركة في «الجهاد»، إحداهن مقاتلة كتبت تقول: « نعم، أقتلوا باسم بالله».

وتوجد حالة خامسة تتمثل في هدى مثنى، وهي أميركيّة تبلغ من العمر عشرين، أبلغت ذات يوم عائلتَها بأنها ذاهبة في رحلة مع أصدقائها بالجامعة، لتختفي وتتوجه إلى سوريا، ثم تبين أنها تواصلت مع أعضاء من التنظيم عبر مواقع التواصل الاجتماعي ، لتكتب فيما بعد على صفحتها:

«هيّا انطلقوا بسيّاراتكم واقتلوهم بالرشّاشات وانشروا

دماءهم في كلّ مكان! استأجروا شاحنات كبيرة وادهسوهم جميعهم».

لكن هذه التجارب الذاتية الخاصة لا تفسر كل ما يتعلق بدوافع انضمام نساء إلى داعش، ولذا يبقى السؤال فارضا نفسه في هذا المقام هو: لماذا تنضم نساء إلى داعش رغم أن خطاب التنظيم وتدابيره تعادي حقوق المرأة. هنا تجيب نيمي غوريناثان، الأستاذة في كلية «سيتي» بنيويورك وأخصائية شؤون المرأة والعنف الجنسي، أن هؤلاء النسوة يدركن أن المعركة لا تتعلق بحقوق المرأة بل بقضية قيام «الخلافة»، وبالتالي فهن يدخلن من أجل الصراع السياسي، وهذا أمر لا يفهمه الكثيرون، والنساء اللواتي يذهبن إلى «داعش» يبحثن عن أمور أخرى من بينها الأمان، لأنهن يشعرن أن هويتهن مهددة.

كما نجح التنظيم من خلال وسائل دعاية مؤثرة، عبر وسائل التواصل الاجتماعي، في الإيقاع بالعديد من الفتيات، واستدراجهن إلى الأرض التي يسيطر عليها. ويضرب المثل هنا بسيدة بريطانية تدعى «أم عثمان» قامت بشكل مباشر بالترويج لداعش، بغية تشجيع غيرها من النساء على الهجرة إلى سوريا.

وها هي امراة تسمى «أم ليث» تطلق بعد وصولها من بريطانيا إلى سوريا تغريداتها مصحوبة بصور لها وهو منتقبة،

تحـرض فيهـا النسـاء علـى «الهجـرة» إلى «أرض الخلافـة»، وتشـد مـن أزرهـن في مواجهـة الدعايـات المضـادة، فتطلـب منهـم تحمـل الإهانـات والضغـوط العاطفيـة، وتقـص عليهـن طرفـا مـن تجربتهـا قائلـة:

«أول اتصـال هاتفـي مـع أهلـك بعـد تجـاوزك الحـدود سـيكون أصعـب شـيء تفعلينـه في حياتـك علـى الإطـلاق، حينها ستسـمعينهم يرجونـك بشـكل جنونـي، مـن أجـل أن تعـودي».

وتركـز الدعايـة ليـس فقـط علـى الجوانـب الدينيـة، المرتبطـة بإقامـة دولـة الخلافـة، إنمـا تحفـل بإغـراءات مباشـرة للفتيـات لخـوض تجربـة جنسـية مختلفـة مـع «فحـول داعـش». ولعـل مقطـع الفيديـو الـذي انتشـر علـى «يوتيـوب» لداعشـيات مسـلحات وهـن يصرخـن في حمـاس شـديد «نريـد النـكاح .. نريـد الثـواب» يضـرب مثـلا ناصعـا في هـذا المقـام، وهـو يتماشـي عمومـا مـع انشـغال التيـارات الدينيـة المتطرفـة بـ «النصـف الأسـفل».

ولا يضيـع داعـش وقتـا في إيصال رسـالة إلى النسـاء المنضمات إليـه بـأن التشـويق والإثـارة تنتظرهمـن فعـلا في «أرض الخلافة»، فعندمـا تصـل هـؤلاء النسـاء الراغبـات عـبر المطـارات التركيّـة، يتـم توزيعهـن وفقـاً لمعايـير محـدّدة ترتبـط في الغالـب الأعـم بالجمـال، فالأفضليّـة هـي للغربيّـات الشـقراوات، وخصوصـاً اللواتـي أشـهرْن إسـلامهنّ.

فعلى سبيل المثال، ووفق ما أفاد به هانز جيورج ماسن رئيس هيئة حماية الدستور (جهاز المخابرات الداخلية في ألمانيا)، فإن أربع قاصرات ألمانيات توجهن إلى العراق وسوريا في ٢٠١٥ من أجل «الجهاد»، بعد أن تعرفن على أزواجهن عبر شبكة الانترنت.

وهناك فتيات لا تتجاوز أعمارهن (١٤ و١٥) عامًا، يسافرن إلى سوريا للزواج من مقاتلي داعش، تحظى الفرنسيات من بينهن بالعدد الأكبر.

وكثير من الفتيات اللائى غادرن منازلهن للزواج بهؤلاء المقاتلين، يجرى تجنيدهن وفق فكرة ضرورة وجود أطفال لـ «الجهاديين»، لمواصلة انتشار الإسلام، وفى حال قتل زوجها فإنها تحصل على لقب زوجة شهيد، وأن الزواج من مقاتل أمر واجب على النساء المنضمات لداعش، وأن غير المتزوجات يقمن فى منازل مشتركة تسمى بـ «المقر»، حتى تدبر زيجاتهن فى أسرع وقت ممكن.

وهنا يرى كريم بكزاد من المؤسسة الفرنسية للعلاقات الدولية والاستراتيجيّة إن هؤلاء النسوة وجدن في الزواج من محاربٍ فكرةً رومانسيّة جذّابة، حتى أنّ بعضهنّ وجد أن قطع الرؤوس، وجزّ الأعناق لا يخلوان من سحر المغامرة. فمنتسبات أو مؤيّدات للتنظيم وجدن عبر حساباتهن الالكترونيّة أنّ قطع رأس المواطن الأميركي بيتر كاسيغ

«جميل»، بينما وصفت إحداهنّ هذا الحادث البشع بأنّه «رائع بشكل جنوني».

ولذا لا تركز طريقة تجنيد نساء لداعش على القتال والمسائل الدينية ولا تأدية المهام المنزلية فحسب، إنما تتطرق أيضا، وبقوة، إلى ممارسة ما يسمى بـ «جهاد النكاح» حيث ينشط التنظيم على وسائل التواصل الاجتماعي بحثا عن إناث يريدن الانضمام إليه، ويستعمل بإفراط «مواد إباحية» وصورا تظهر بربرية الداعشي، التي يمكن أن تلهب مخيلة فتاة مخدوعة بأنها ستجد في فراشها رجلا فحلا لديه ما لا تلقاه لدى الرجال المتحضرين، وتعيش «حياة خاصة» غير مألوفة، مفعمة بالمغامرة والمخاطرة.

لكن ليس كل من يمارسن «جهاد النكاح» راغبات في أداء هذا الدور، فهناك المرغمات على هذا، مثل أربعمائة امرأة من الطائفة الإيزيدية تم اختطافهن وتوزيعهن على معسكرين.

وقد يكون الجزء الأكبر من النساء اللواتي انضممن إلى داعش من زوجات المقاتلين، لكن هناك فئة انضممن طوعًا لحماية أنفسهن ولاعتقادهن أنهن بهذه الطريقة يضمنّ عدم تعرضهن للاعتداء أو العقاب ومواجهة المخاطر السياسية والدينية والإثنية التي تتعرضن لها في مجتمعاتهن، بالإضافة الى الجهد الذي يبذله الدواعش من أجل استقطاب النساء، وكيف يبرعون في توظيف أساليب الترهيب والترغيب

لدفعهن إلى الانضمام إلى صفوفهم، وكثيرات منهن تحسبن أنهن تصنعن شيئا حسنا.

ويمكن أن نضرب مثلا على الترغيب، في هذا المقام، بما جاء في صفحة «يوميات مهاجرة» على موقع «فيس بوك»، حيث نجد وصفًا جذابا لمجتمع وأسلوب حياة داعش، فمن ينتمون إليه غير مضطرين لدفع إيجار المسكن، وفواتير المياو والكهرباء، ولا تُحصَّل منهم ضرائب، بينما يحصلون على المواد الغذائية الأساسية مجانًا، ويمنح كل فرد من أفراد الأسرة راتبا شهريا، حتى لو كان طفلا، بالإضافة للتأمين الصحى وهدايا الزواج.

ويقدم «مكتب ديوان شؤون المجاهدين» منحة زواج لكل عنصر من الأنصار (السوريين) يتقدم لفتاة، وتقدر بـ ٤٠ ألف ليرة سوري (١٨١ دولار) وبعد الزواج مبلغ ٥٠٠ دولار لمصاريف الزواج. أما المهاجرون (القادمون من الخارج) الذين يتزوجون عن طريق مكتب «ملتقى فتاة الإسلام»، فيقدم الشخص طلباً لأميره المباشر، وورقة مصدّقة من الملتقى تشرح حالته، وطلبه الزواج، وتحدد هوية الفتاة التي يريد تزوجها، فيصرف له على الفور ١٠٠٠ دولار، وبعد الزواج يذهب إلى مكتب شؤون المجاهدين المهاجرين ويقدم ورقة تثبت زواجه فيصرف لزوجته كل شهر ١٠٠ دولار ويحصل على قارورة غاز، و٢٠ ليتراً من المازوت مجانا، واذا أنجب طفلاً يصرف له ١٠٠ دولار أيضاً.

وهـذه الصـورة البراقـة، الـتي لا قـد يكـون لهـا وجـود في الواقـع، أغـرت نسـاء كثـر بالانضمـام إلى صفـوف التنظيـم، دون أن تلقـين بـالا لمـا يـتردد عـن بشـاعته، ومـا يتـم تقديمـه مـن صور وشـهادات تؤكد أن داعش يسـتغل النسـاء أسـوأ اسـتغلال، ليـس فقـط في القتـال، إنمـا في توفـير المتعـة الجسـدية لمقاتليـه.

ويرصـد الكاتـب عبـد الرحيـم قنـاوي، في كتابـه «نسـاء في فـراش داعـش»، كيـف تحولـت بعـض النسـاء في كنـف داعـش إلى إرهابيـات قاتـلات، في سـبيل المتعـة الجنسـية، تحـت غطـاء الديـن والواجـب .

وهنـاك قصـص رواهـا النازحـون مـن مدينـة نينـوى العراقيـة وقـت أن اجتاحهـا داعـش عـن سـوق لبيـع النسـاء مـن الأقليـات اللواتـي خُطفـن مـن مقاتلـي التنظيـم، إذ يقـول أحدهـم:

«يبيعـون النسـاء في داخـل الاسـواق لعناصـر تنظيـم الداعـش الذيـن قدمـوا مـن أفغانسـتان والشيشـان.»

وهنـاك روايـة علـى لسـان امـرأة اسمهـا زينـات تتحـدث عـن أيـام سـبيها وإهدائهـا إلى أبـو بكـر البغـدادي زعيـم داعـش. حيـث تقـول في حـوار تلفزيونـي، سـأرده هنـا نصـا لمـا فيـه مـن دلالات قويـة:

«أول مـرة أتـى فيهـا كنـت جالسـة وأبكـي، عندمـا وقفـت نظـر إلـي وقـال للحـارس: خذهـا بعيـدا وأبقهـا جانبـا».

بعدها أخذت إلى الرقة، معقل التنظيم، حيث كانت تطبخ وتنظف لزوجات البغدادي الثلاث وأطفاله الستة.وحا ولت الهروب مرة، لكنها عوقبت بالضرب بواسطة خرطوم مياه والضربات الأخيرة كانت من قبل البغدادي نفسه.

المذيعة: ما الذي قاله لك عندما ضربك؟

زينات: البغدادي قال لنا: لقد ضربتك لأنك هربت منا، اخترناك لتعتنقي الإسلام، أنت تنتمين إلى الدولة الإسلامية.

ثم قالت إنها ألقيت في زنزانة ضيقة لمدة شهر. والتقت هناك بالرهينة الأمريكية الراحلة، كايلا مولر، حسب ما تقول.

زينات: قلت لها.. أنا فتاة يزيدية من سنجار واعتقلني تنظيم داعش، بعدها بقينا سويا وأصبحنا مثل الشقيقات.

وفي يوم من الأيام تم نقل زينات وكايلا وفتاة يزيدية أخرى إلى منزل مسلح في داعش رفيع المستوى يدعى أبو سياف.

بعد فترة وجيزة، كما تقول، جاء البغدادي في زيارة واستدعى كايلا.

زينات: عندما عادت كايلا إلينا سألناها، لم تبكين؟ وقالت لنا بأن البغدادي قال لها: سأتزوجك بالقوة وإذا رفضت ذلك سأقتلك.. تحدثت إلي بصراحة دون إخفاء شيء وقالت لي إن البغدادي اغتصبني.. عندما سمعت ما قالته كايلا لنا أردت الهروب، وطلبت من كايلا الهرب معي

لكنها رفضت، وقالت إذا هربت فسيقومون بقطع رأسي.

وتقول زينات إنها انتظرت حتى الساعة الواحدة صباحا ودفعت نافذة مكسورة في غرفتهن وأحدثت فتحة كبيرة بما يكفي لتتمكن هي وفتاة أخرى في الرابعة عشر من عمرها بالمرور من خلالها.

عندما اجتمعت مجددا بأمان مع عائلتها اكتشفت هوية الرجل الذي كان يعذبها فعلاً.

زينات: عندما هربت رأيته في التلفاز وسمعت صوته، سألت عائلتي من هو هذا الرجل، وقالوا لي هذا أبوبكر البغدادي. لم أتخيل أنه كان زعيم داعش، كنت خائفة جدا، كان من الممكن أن يقتلني.

وروت زينات قصتها للمحققين الأمريكيين، بما في ذلك الروتين اليومي للبغدادي.

زينات: البغدادي كان دائما في غرفته لثلاث أو أربع ساعات، كان يأتي أحيانا إلى غرفنا، كان يضربنا ويعاقبنا، وكان يقول لنا بأن الأيزيديين كفار، أشياء من هذا القبيل. أولاده كانوا يسخرون منا، ويقولون لنا أنتم قذرون وأيزيديين كفار.

المذيعة: ما هو الرجل الذي كان عليه البغدادي؟ هل عاملك بلطف؟

زينات: لا كان شريرا، لم يقل كلاما لطيفا».

وهناك وثيقة تؤكد ما ورد على لسان هذه السيدة من حديث عن سبي النساء وبيعهن في سوق الرقيق، وتقول الوثيقة نصا:

«قرار صادر في ٢١ ذو الحجة ١٤٣٥، عنوانه «أسعار بيع الغنائم» يقول نصا: «وردنا أن سوق بيع النساء والغنائم قد شهد انخفاضا كبيرا، وهو ما يؤثر على إيرادات الدولة الإسلامية، وتمويل صولات المجاهدين فيها.

ولذلك فقد ارتأت هيئة بيت المال وضع الضوابط والأسعار بخصوص بيع النساء والغنائم، وتلزم جميع المزاولين لهذا العمل بالالتزام بها، وبخلافه سيتم إعدام كل مخالف.

- ٧٥ ألف دينار للمرأة البالغة (٣٠ – ٤٠) إيزيدية أو مسيحية
- ١٠٠ ألف دينار للمرأة البالغة (٢٠ ـ ٣٠) إيزيدة أو مسيحية
- ١٥٠ ألف دينار للمرأة البالغة (١٠ ـ ٢٠) إيزيدية أو مسيحية
- ٥٠ ألف دينار للمرأة البالغة (٤٠ ـ ٥٠) إيزيدية أو مسيحية
- ٢٠٠ ألف دينار لجميع الأطفال (١ ـ ٩) إيزيدية أو مسيحية

ولا يسمح لأي شخص بشراء أكثر من ثلاث غنائم. ويستثني من ذلك الأجانب من الأتراك والسوريين والخليجيين».

ولم يترك داعش نساءه بلا تنظيم فقد أقام مراكز ومقرات خاصّة بنسائه المهاجرات والأنصاريات (السوريات) منها نقاط تابعة لجهاز الحسبة النسائية تحت اسم «ملتقى فتاة الاسلام»، ويشرف عليها طاقم كامل من النساء، وهي تهدف إلى تقوية صلة الرحم والتعارف بين النساء، وإقامة دورات شرعية وفي المهارات المنزلية، إلى جانب التدرب على استعمال السلاح، والتصرف به وقت الحاجة.

ويستقبل المركز النساء المهاجرات اللواتي يلتحقن بالتنظيم، ويؤمّن لهنّ السكن والمعيشة والمال بالعملة السورية في حال تجوّلن داخل أسواق المدينة، ويعلمهنّ ارتداء النقاب الشرعي والنصائح، كما يهتم المركز بتزويج النساء الأرامل والمطلقات.

والسؤال الذي يطرح نفسه بعد استعراض أحوال النساء تحت حكم داعش هو: ما الذي يجعل نسوة ينضمون إلى التنظيم سواء من بين اللاتي يعشن على الأرض السورية والعراقية التي فرض داعش سلطانه عليها؟ أم قادمات من الخارج؟

إن إمعان النظر في الدوافع والأسباب التي حدث بهؤلاء النساء إلى الانضمام لداعش يبين أنها كثيرة ومعقدة ومتناقضة أحيانا. فهناك نسوة يعشن على الأرض التي يهيمن عليها التنظيم أضطررن للانضمام تجنبا للأذى، وبحثا عن الحماية، وطمعا في المنافع المادية التي يوفرها داعش لمن ينتمون إليه، كما سبق التوضيح. وهناك من انضممن

اعتقادا منهن في التصور الديني الذي يقدمه داعش، خاصة أنه يعد أتباعه بانتصارات تتوالى حتى استعادة «الخلافة» على الحال الذي كانت عليه في الزمان الأول، بل بما يزيد عليها، في الجغرافيا والقوة والهيمنة.

أما بالنسبة للأجنبيات فكثيرات من النسوة اللاتي انضممن لداعش كن يعانين العزلة والتهميش الاجتماعي، ولديهن رغبة في المغامرة وتجريب الجديد، والخروج من السأم الذي يخيم على حياتهن. والبعض منهن ممن يدينون بالإسلام تصورن أن الذهاب إلى داعش سيساعدهن على أداء «فريضة الجهاد».

وقد طرحت الباحثة نيمي غوريناثان، على صفحات مجلة «فورين أفيرس» سؤالا يقول: لماذا قد ترغب النساء بالانضمام إلى نضال سياسي يضطهدهن بشكل صارخ؟

وتقول الكاتبة إن أولئك الذين يطرحون هذا السؤال، يقومون بهذا أولاً، لأنهم يعتقدون بأن النساء أكثر سلميةً بطبيعتهن من الرجال. وثانياً، لأنهم يؤمنون بأن النساء اللواتي يشاركن في التمرد المسلح هن لسن بأكثر من وقود لمدافع الرجال، وبأنهن يشاركن بحماقة في معارك لن تعود عليهن بأي فائدة.

لكن الكاتبة ترد على هذه الاعتقادات قائلةً: كما تثبت نساء داعش، فهاتان الفرضيتان خاطئتان على حد سواء.

ولفهم نساء داعش ودوافعهن، تحاول غوريناثان وضع هذه المسألة الجدلية في سياقها التاريخي، من خلال المقارنة بينهن وبين النساء في السلفادور، وإريتريا، ونيبال، والبيرو، وسري لانكا، اللواتي انضممن طوعاً للحركات والمليشيات التي كانت تمارس العنف، وبلغن أحيانًا مناصب ومواقع قيادية ضمن هذه المجموعات المسلحة. في كل من هذه الحالات، انضمت النساء للقتال للأسباب الأساسية نفسها التي دفعت الرجال إلى الانضمام إليه.

إن حياة نساء داعش في الأماكن الاجتماعية المحافظة بعمق، ومواجهتهن لتهديدات مستمرة ضد هوياتهن العرقية أو الدينية أو السياسية، وليس أي مظالم متعلقة بجنسهن، هو ما أقنعهن بحمل السلاح.

وحسب الباحثة نفسها فإن صناع السياسة سوف يجدون صعوبة في مكافحة تطرف الأنثى إذا ما استمروا في تجاهل هذه الدوافع، والتعامل مع المقاتلات الإناث على أنهن لسن أكثر من أدوات لتحقيق الذكور لمصالحهم، واستشهدت هنا بما قاله جين هارمان، وهو رئيس مركز وودرو ويلسون الدولي، من أن مواجهة روايات التطرف تتطلب فهمًا للتطرف. وبالنسبة لمعظم المقاتلات الإناث، فإن الانضمام إلى المعركة في بعض الأحيان هيبدو و السبيل الوحيد للبقاء على قيد الحياة، أو الحصول على مكانة داخل التنظيم الإرهابي المقاتل.

وفي مقال له بعنوان «أي لغز يجذب النساء لداعش» يقول جورج عيسى إن النّظام الاجتماعيّ في الدول الغربيّة، من حيث تأمينُه الواسع لمتطلبات الأمن والرفاهية، يقترب بالنسبة للبعض من الملل أو «الرتابة الروتينيّة» التي تُفقد الحياة حسّ المغامرة. كما أن نمط العيش في الغربة، يبرز غياب «القضيّة» كمحرّك ودافع يضفيان المعنى على حياة الانسان بشكل عام والمرأة بشكل خاص.

كما أن الثقافة الغربيّة نفسها القائمة على الليبيرالية واحترام حقوق الانسان والازدهار الاقتصادي أصبحت عاجزة عن تأدية مهمتّها الأساسيّة وهي إيجاد صيغة لتنظيم الصراعات عبر إلغاء الجنوح نحو العنف عند الرجال قبل النساء، فها هو الجنوح الخطر نفسه يشمل النساء والرجال معاً. علاوة على هذا فهناك الغريزة البدائيّة التي تجعل النساء مثل الرجال تماما لديهن ميل إلى الصراع.

ولوضع ما قيل سابقا موضع اختبار حقيقي، يمكن هنا استعراض نماذج نسائية داعشية من المفيد تقديمها أخيرا كجزء من البرهان، وهي على النحو التالي:

١. **إيمان مصطفى البغا**: وهي أستاذة جامعية كانت تقوم بتدريس الفقه بجامعة الدمام في المملكة العربية السعودية، حين انضمت لداعش كتبت تقول: «تركت جامعتى الحبيبة، وسيارتى الفارهة، ومنزلى الواسع،

وراتبى الضخم لأتخلص من الالتزام بقوانين الطّغاة الآثمة، كاتمى أنفاس الحق لتبقى الأمة فى هوانها، مسوقى أصحاب الكفاءات والخبرات نحو مزيد من الهزيمة والفساد بل والموت».

وتقول إيمان لتلاميذها مودعة: «غبت عنكم لأنى كنت أبحث عن كهف آوى إليه، للنطق بكلمة الحق، لذا تركت جامعتى الحبيبة ... منذ أن قرأت مآسى المسلمين، كنت داعشية التفكير والمنهج، أنا داعشية قبل أن توجد داعش لا يخالف الشرع فى شىء، لم أجد فى فعلهم وقولهم ما يخالف الإسلام فى شىء، لم يقنعنى أحد بهم، وإنما أسمع وأتابع، وخاصة أن نفسى لم تسمع الإعلام ولم تشرب فكره الذى غذى فى بعضنا الذل، ووضع فينا الهيبة من عدونا والخوف من اتهاماته لنا وهو يقتلنا».

وتحمل إيمان درجة الدكتوراه فى أصول الفقه من جامعة دمشق، وحاصلة على دبلوم تأهيل تربوى، وكانت مشرفة على قسم الثقافة فى الهيئة العالمية لإعجاز القرآن فى الدمام.

وهى ابنة العالم السورى الدكتور مصطفى البُغا الذى يُعدّ أحد أبرز فقهاء الشافعية فى سوريا، وله مؤلفات عديدة في الشريعة.

٢. **أُم خنساء التونسية**: وهي مسئولة بارزة في «الحسبة النسائية» وتهتم بتدريب النساء اللواتي يلتحقن بالتنظيم من مهاجرات ومناصرات سوريات، وهي متزوجة من رجل مغربي، كان منضما إلى المقاتلين في العراق تحت قيادة أبو مصعب الزرقاوي منذ عام ٢٠٠٥.

٣. **أم مهاجر**: تحمل الجنسية التونسية أيضا، وانتقلت من العراق إلى سوريا برفقة زوجها، بعد تزويج بناتها لقيادات بارزة في داعش، وهى مسؤولة عن كتيبة مقاتلة بالرقة تتكون من ستين امرأة، وتشتهر تلك الكتيبة باللثام الأسود على وجوههن، وحمل الأسلحة الفتاكةً.

٤. **ندى القحطانى**: هى أول مقاتلة تنتمى لداعش، ولقبت نفسها بأخت جليبيب، وعزت سبب انضمامها إلى ما وصفته بتخاذل أكثر الرجال، وأعلنت نيتها فى القيام بعملية انتحارية، وهي منضمة إلى صفوف المقاتلين شأنها شأن أخيها الذي صحبته إلى صفوف داعش.

٥. **أم فارس**: ناشطة في مجال الدعاية لداعش، إذ تستخدم حسابها على موقع «تويتر» لتصف الحياة مع زميلاتها من الداعشيات، داخل مدينة الرقة السورية، وقد أبدت تعجبها فى إحدى التغريدات من وجود عبدة إيزيدية داخل منزل إحدى صديقاتها، المتزوجة من مقاتل فى صفوف التنظيم.

٦. **أم المقـــداد:** تعـرف بأمـيرة نسـاء داعـش، وهـى المسؤولة عـن تجنيـد الفتيـات والسـيدات بمحافظـة الأنبـار العراقيـة، وتحمـل الجنسـية السـعودية، وتبلـغ مـن العمـر ٤٥ عامًـا.

٧. **ســـالى جونز:** هـي مغنيـة بريطانيـة اعتنقـت الإسـلام، ثم اختفـت لتظهـر معلنـة زواجهـا مـن بريطانـى يدعـى جنيـد حسـين بعـد أن وقعـت في غرامـه، وهـو المشـتبه بـه في عملية إعـدام الصحفـى الأمريكـى جيمـس فـولى بقطـع رأسـه. وهـو يعتـبر مـن أشـهر قراصنـة الانترنـت فـى بريطانيـا، وحكـم عليـه بالحبـس لمـدة سـتة أشـهر فـى ٢٠١٢، بتهمـة سـرقة معلومـات اسـتخباراتية وأمنيـة حساسـة مـن مسـاعدى رئيـس وزراء بريطانيـا السـابق، تونـى بلـير، ومـزج الخـط السـاخن لمكافحـة الإرهـاب الـذى تسـتخدمه الحكومـة بمكالمـات سـاخرة.

٨. **أم هاجـــر الأنصارية:** وهي سـورية مسـقط رأسـها منطقة الحفـة في مدينـة اللاذقيـة. وقـد فـرت مـع زوجهـا وابنهـا الصغـير إلى تركيـا مـن المعـارك، ثـم دخلـت إلى المناطـق الـتي يسـيطر عليهـا التنظيـم وصـولاً إلى الرقـة. وتحظـى بثقـة كبـيرة بـين قيـادات التنظيـم.

وقـد اعتـادت، أم هاجـر، الـتي تنـدس بـين النسـاء اللواتـي لا ينتمـين للتنظيـم وتخـبر عنهـن، أن تفتش النسـاء في الأسـواق، وتجمـع أخبـار الأرامـل والمطلقـات، اللاتـي يسـهل إلحاقهـن

obeikan.com

بداعش. وعندما تتجول أم هاجر في أسواق الرقة تحمل أطفالها إمرأة يزيذية عراقية من السبايا التي جاء بهنّ زوجها.

٩. التوأمان سلمى وزهرة، صوماليتا الأصل، ويحملا الجنسية البريطانية، انتقلتا إلى سوريا، للانضمام لداعش والزواج من مقاتليه. أطلقت إحداهما اسم «أم جعفر» على نفسها. واعترفتا بأنهما سعيدتان بلقبهما «التوأمان الإرهابيتان»، وقطعتا بعدم العودة إلى بريطانيا، وقد تدربتا على استخدام القنابل اليدوية، وبنادق الكلاشنيكوف.

openkan.com